

## الرواية النسائية الجزائرية، مقاربة في الأنساق المضمرة

## Algerian womens novel, An approach to implicit patterns

هند تمار\*

المدرسة العليا للأساتذة بورقلمة (الجزائر)

hind.temmar@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/09/29

تاريخ القبول: 2025/09/23

تاريخ الاستلام: 2025/06/30

**ملخص:** شهدت الساحة النقدية العربية مؤخرا حركة نقدية جديدة تمثلت في "النقد الثقافي"؛ والذي يُعنى بدراسة ما وراء النسيج اللغوي بغية الوصول إلى ما يخفيه من أنساق ثقافية مضمرة وحب إظهارها ودراستها في سياقاتها المختلفة؛ للوصول إلى إيديولوجية صاحب النص ومنها إلى إيديولوجية المجتمع، سواء أكان هذا الأديب يسير في تيار المجتمع نفسه أو في حالة ضدية معه لكونه جزءا منه، فالنص يقوم على ثنائية (الظاهر/ المضمرة)؛ فالظاهر هو النسيج اللغوي الذي يتشكل منه النص، أما المضمرة فهو نسق مخفي لسبب أو لآخر.

والرواية من أهم الأجناس الأدبية التي طُبّق عليها النقد الثقافي، كونها تعد إنتاجا ثقافيا يحمل فكر البيئة المنتجة له وثقافتها؛ فكثيرا ما تُعبّر عن إيديولوجية صاحبها ومجتمعها، وهذا حال الرواية الجزائرية التي عايشت كل التحولات التي مرّت بها الجزائر، فكانت مرآة عاكسة لقضايا المجتمع الجزائري وعبرّت بحق عمّا عاشه الشعب من تطورات مختلفة لاسيما في فترة العشرية السوداء وما صاحبها من فوضى مستت مختلفة مجالات الحياة، فظهر العديد من الأدباء الذين اتخذوا من هذه المرحلة موضوعا في كتاباتهم الروائية، سواء خلال الأزمة أو بعدها.

**الكلمات المفتاحية:** الرواية النسائية - الأنساق المضمرة - النقد الثقافي - الرواية الجزائرية - إيديولوجية المؤلف

**Abstract:** The Arab critical scene has recently witnessed the emergence of a new critical movement, referred to as "cultural criticism.", This approach aims to investigate the underlying linguistic fabric in order to uncover embedded cultural discourses and highlight them in their various contexts. These contexts serve as gateways to understanding the author's ideology, including their view of society—whether the author aligns with the prevailing social current or positions themselves in opposition to it, as part of what constitutes the text's ideological fabric.

Many Algerian writers responded to this context by focusing their narrative content on the crisis period or its aftermath, with a particular emphasis on themes of displacement, fragmentation, and uncertainty. These themes were explored across different stages and in various contexts, as exemplified in the novel "*Tasharraftu birahālik*" ("Honored by Your Presence").

**Keywords:** cultural criticism, womens novel, implicit patterns, the Algerian novel, the term embedded,

\* المؤلف المرسل: هند تمار

## . مقدمة:

أدى دخول الثقافة والأنثروبولوجيا إلى المجال الأدبي عامة والمجال النقدي خاصة إلى توسيع مجال النقد، فخرج عن قلبه التقليدي وارتبط أكثر بالبيئة المنتجة للنص وبالأديب الذي يعكس فكره وثقافته في سطور نصوصه وكتابات، فجاء النقد الثقافي كاتجاه نقدي يسعى للبحث في هذه الثقافات والإيديولوجيات المستترة تحت سطور النص، وكممارسة نقدية تهدف إلى نقد الثقافة وحيلها في تمرير أفكارها خلف عباءة الجمال. وقد جمع الدارسون والنقاد بين مصطلحي (النقد والثقافة) للدلالة على مصطلح حديث في عالم الأدب وهو **النقد الثقافي**، والذي يسميه آخرون بنقد ما بعد الحداثة، والذي جاء كرد فعل على القصور الذي لاحظته النقاد في المناهج السياقية والنسقية، ويعتمد أساسا على الخلفية الثقافية للمبدع، «فإذا كانت البنيوية والسيمائية قد أفصت من حسابها السياق الخارجي والمرجعي وقصت الإنسان والتاريخ والمجتمع فإن فلسفات ما بعد الحداثة قد أعادت الاعتبار للمؤلف والقارئ والإحالة والمرجع التاريخي والسياسي...»<sup>1</sup>، فالنقد الثقافي «إذاً جاء كرد فعل على البنيوية اللسانية، والسيمائيات، والنظرية الجمالية، والتي تعتنى بالأدب بعده ظاهرة لسانية شكلية، أو ظاهرة فنية وجمالية وشعرية من جهة أخرى»<sup>2</sup>، فقد دعا إلى تجاوز الشكل والجماليات وغيرها من القضايا التي كانت مادةً للنقد الأدبي إلى البحث في المضامين للكشف عن ما يخفيه الجمال من مضمرات.

## أهداف البحث:

ونحن في هذه الدراسة نسعى للكشف عن المضامين والمرتكزات الثقافية التي حملها المجتمع الجزائري عامة والمرأة الجزائرية بصفة خاصة أثناء العشرية السوداء؛ حيث نحاول أن نجسد تجلياتها بمختلف أنماطها ومستوياتها في تشكيل معمار الرواية، سعياً منا لخلق إستراتيجية تساعدنا في استثمار هذه الأنساق المضمرة ورصد تأثيراتها على القارئ

## منهج الدراسة:

اعتمدنا في تحليل الرواية على النقد الثقافي، للكشف عن الأنساق المضمرة التي تحويها، مع مراعاة الظروف: الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية، التي ساهمت في إنتاج هذه الرواية.

**2. النقد الثقافي:** إن النص ليس فقط ما نقرأه من سطور وإنما هو أكثر من ذلك؛ فهو رمز لسلطة الجماعة أو الجمهور المستهلك وخطاب يحمل إيديولوجيات منتجة ويحمل أنساقاً مضمرة تعبر عن فكر وقناعات وثقافة سادت وتسود المجتمع، أثرت وتأثرت به حتى أصبحت وكأنها مسلمات، وهذا ما يبحث فيه النقد الثقافي «ومن ثم فقد استهدف تقويض البلاغة والنقد معاً، بغية بناء بديل منهجي جديد يتمثل في المنهج الثقافي الذي يهتم باستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة، ودراستها في سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي والمؤسسي»

فهما وتفسيرا»<sup>3</sup>، فهو يدرس العمل الأدبي معتمداً في ذلك على المجتمعات في مختلف المجالات الحياتية للكشف عن فكرها وطريقة حياتها باستخدام منهج نقدي جديد ينظر إلى ما وراء الجملة والكلمة والتركيب، للتعرف على المجتمع والكشف عن إيديولوجية المبدع الذي نسج سطور العمل الأدبي.

ومن رواده العرب نجد الناقد السعودي عبد الله الغدامي، الذي يعد أول وأهم من غاص في بحر هذا النوع من النقد، فضبط مفهومه وأسّس له محاولاً تطبيق النظريات الغربية في الثقافة العربية، وهو عنده «فرع من فروع النقد النصوي العام، ومن ثمّ فهو أحد علوم اللغة وحقول "الألسنية" معنيّ بنقد الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته»<sup>4</sup>، بدراسة النص من كونه خطاباً ثقافياً يحمل أفكاراً ومظاهر اجتماعية وثقافية وحضارية يخفيها النص تحت غطاء الجمال الأدبي البلاغي، «فتزداد أدبية النص كلما ازدادت قدرته على إنتاج الدلالة الضمنية»<sup>5</sup>، فلم يُعدّ النص في ظل هذا النقد غاية في حد ذاته وإنما على أساس أنه خطاب يحمل رسالة ثقافية مضمرّة لا بد من تعريتها والكشف عنها.

فالنقد الثقافي إذًا "ممارسة أو فاعلية تتوفر على درس كل ما تنتجه الثقافة من نصوص سواء كانت مادية أو فكرية"<sup>6</sup>، على اعتبارها إنتاجاً يحمل رسالة مضمرّة ونسقا ثقافياً مخفياً يحمل بدوره مجموعة من الإيديولوجيات، وبالتالي نقد ماهو مخفي وغير جمالي بعيداً عن الرؤية النقدية التقليدية للنص.

جاء النقد الثقافي كدراسة اتخذت لنفسها مفهوماً جديداً خاصاً في المجال الأدبي، داعية إلى تجاوز النقد الأدبي لاعتبار أنه استهلك، «فنشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب، وهذا ليس تغييراً في مادة البحث فحسب، ولكنه أيضاً تغيير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السوسولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسسية، دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي»<sup>7</sup>، وبعده قاعدة يُنطلق منها للبحث عن المضمرات متجاوزاً البنية أو الشكل والجماليات، وبالتالي «يمكننا القول إن النقد الثقافي لا يمكن أن يدعو إلى موت النقد الأدبي بل دعا إلى إحيائه بطريقة حدائيه وحضارية، وقال بتجاوزه من خلال الأخذ بالأسباب والعلل التي جعلته نمطياً باحثاً عن الجمالي فقط في الخطاب الأدبي، ولم يسلط الضوء على الأنساق الثقافية الكامنة وراءه»<sup>8</sup>،

## 2- مرتكزات النقد الثقافي:

### 1-2 مفهوم النسق المضمّر:

يحتل مصطلح الأنساق المضمرّة الحصة الأكبر والأهم في النقد الثقافي، بل وإن صح التعبير هي غايته الأولى التي يحاول مستخدماً منهجياته وأدواته الوصول إليها وكشفها؛ حيث لدينا في النقد الأدبي نسقا جمالياً (بلاغياً)

وهو الظاهر، يخفي تحته أنساقا ثقافية مضمرة لم يكشف عنها النقد الأدبي لانشغاله بالجماليات، ومن هنا لا بد من التعرف أولا على مفهوم النسق وعلى مفهوم الإضمار ثم مفهوم النسق المضمّر كمصطلح نقدي. عند تركيب مصطلحي النسق والإضمار، يتشكل لدينا مصطلح جديد بمفهوم خاص (النسق المضمّر)، وهو محور الدراسات النقدية الثقافية؛ حيث «يأتي مفهوم النسق المضمّر في نظرية النقد الثقافي بوصفه مفهوما مركزيا، والمقصود هنا أن الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة متخفية وراء أقنعة عديدة أهمها وأخطرهما قناع الجمالية، التي هي أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء تعمل عمل التعمية الثقافية لكي تظل الأنساق فاعلة ومؤثرة ومستديمة من تحت القناع»<sup>9</sup>؛ وبذلك قد خرج النسق عن مفهومه الكلاسيكي الذي نعرفه والمرتبط بالبنية والنظام، فأصبح عبارة عن دلالة وفكر ثقافي مخفي وراء الجماليات، والتي ظلت لأزمنة طويلة مستمرة حاملة خطابات ثقافية متنوعة.

هذه الأنساق لا شعورية موجودة بشكل غير واع عند المؤلف وحتى الجمهور المستهلك للعمل الأدبي، أوجدت عبر تراكمات حتى أصبحت خطابا مهيما، «فالنص ليس فحسب نصا أدبيا وجماليا ولكنه حادثة ثقافية»<sup>10</sup>، تحمل أنساقا ثقافية مختلفة؛ «تاريخية أزلية راسخة، ولها الغلبة دائما، وعلاماتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق»<sup>11</sup>، تساوى في استهلاكها جميع أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم وجنسهم، لكونها تحولت إلى مسلّمات وأعراف وتفاعلات ترسخت عبر الزمن واستفحلت، فتكيفت مع المجتمع وتكيف معها.

### 3- الأنساق المضمرة في رواية تشرفت برحيلك:

عاشت الجزائر بداية التسعينيات من القرن الماضي مأساة وطنية ساوت سنوات الاستعمار بالسوء، واستمرت لعشر سنين دامية سميت بعشرية الدم أو العشرية السوداء، خلفت هذه الأزمة آلاف الضحايا ودمارا شاملا مسّ جميع المجالات.

لم يكن الأدب بمعزل عن هذا العنف والهمجية والتغيرات التي عاشها الشعب الجزائري، فعرف تحولا كبيرا على مستوى الكتابة واكتسب طابعا ورؤية جديدة متفردة فرضتها الظروف. فسارت الإنتاجات الأدبية وخاصة الروايات هذه المرحلة من تاريخ الجزائر وجسدت الصراع فكانت بمثابة عدسة كاميرا رصدت كل ما حدث، وأصبحت رصيد المجتمع ثقافيا وتاريخيا.

ظهرت خلال هذه الفترة مجموعة من الروايات «أخذت اسمها من العشرية، لذا سميت "رواية الحنة" أو "رواية العشرية"، "رواية العنف"، "الرواية التسعينية"، "الرواية الاستعجالية"، وغيرها من الأسماء»<sup>12</sup>، وأصبحت الرواية

خلال فترة التسعينيات خطّاباً يُعبّر ويصف رحلة العذاب التي عرفها الوطن، «فكانت شهادات تكتب تحت ضغط الأحداث بصفة استعجالية لتسجيل الراهن الجزائري»<sup>13</sup>.

نتيجة القمع والترهيب الذي عرفته الجزائر عامة والمثقفين خاصة، نجد أن الروايات في هذه العشرية كانت أكثر إضماراً للدلالات والمضامين، حتى أن بعض الروائيين كتبوا ولم ينشروا إلا بعد انتهاء المحنة خوفاً من القتل أو الاعتقال، والبعض الآخر كتب ونشر وصوّر الواقع مستخدماً الرموز والأنساق المضمرة، التي نقل من خلالها رأيه ورؤيته للوضع والتي تغلّغت داخل سطور روايته حاملة إيديولوجياته وأنساقاً ترسخت عبر الزمن ماثرة على فكر وتفكير الفرد والجماعة؛ فالكاتب ينتج رواية والثقافة تنتج مجموعة من أنساقها الثقافية المضمرة والمستترة.

«لقد كانت العشرية السوداء منعطفاً حاسماً في سياق الرواية الجزائرية، وطالت آثارها الجميع خاصة المثقفين الذي كتبوا على ضوء مرجعياتهم وإيديولوجياتهم، فحملت رواياتهم جملة من الأنساق الثقافية المضمرة، وهذا الإضمار كان مقصوداً أحياناً وأحياناً أخرى غير مقصود؛ يظهر كنتيجة لإيديولوجية الكاتب، فعرفت مرحلة التسعينيات صراعاً فكرياً كبيراً جداً وأصبحت الكتابات بذلك «تقدماً للحركة الاجتماعية روائياً، فالرواية مجتمع أو مقطع من مجتمع»<sup>14</sup>، من بين أبرز الروايات التي جسدت فعلاً ما عاشه المجتمع الجزائري خلال هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه نجد رواية: «تشرفت برحيلك للكاتبة فيروز رشام»<sup>15</sup>.

### 1- ملخص الرواية:

رواية تشرفت برحيلك للكاتبة فيروز رشام الصادرة عن دار فضاءات الأردنية رواية تبحث في آفاق مأساة المجتمع الجزائري مع الإرهاب في التسعينيات تدور قصتها حول بطلة تدعى فاطمة الزهراء تعيد الكاتبة فيروز رشام وصف التاريخ والمعاناة التي مست مل شرائح المجتمع وتتقصى بهذا العمل السردي البطلة فاطمة وحياتها بين السعادة والحزن، من فترة كانت فيها تلميذة تحضر بجد لشهادة البكالوريا على وقع حلم الالتحاق بالجامعة للانطلاق إلى آفاق واعدة، إلى التحولات والتغيرات الغريبة التي مست منزلها لتتفاقم وتيرة الحياة بسرعة ليشمل التغيير جوانب كثيرة من حياة فاطمة الزهراء خاصة عند رفض عائلتها ارتباطها بحبيبها الذي تعلقت به وأصبح حلمها الذي تريد تحقيقه بأي ثمن كان، وبهذا تستمر الكاتبة في تشریح التقلبات التي عرفها المجتمع خلال تلك الأحداث الدامية تشرح تطورات حياة بطلتها التي تضاعفت أشجانها ومعاناتها بعد تزويجها غضباً من رجل غريب لم تكن له المودة ولا الحب، وهكذا تتواصل بنا أحداث الرواية إلى نهايتها مشكلة سلسلة لا متناهية من التغيرات والمآسي بين صراعات الحياة المختلفة والمتضاربة.

وسنحاول الكشف عن ما حملته هذه الرواية من «النماذج المسيطرة والأنساق المهيمنة التي تسوس المجتمع وتحكم طبقاته ومستوياته وفتاته المنتجة للخطاب، والمستهلكة له على حدّ سواء»<sup>16</sup>. ومن أبرز هذه الأنساق المضمرة في هذه الرواية نجد:

### 1- النسق الاجتماعي:

#### - نسق السلطة الذكورية:

تُعرف مجتمعاتنا العربية عامة والمجتمع الجزائري خاصة بكونها مجتمعات ذكورية؛ أي أن الذكر هو المسيطر على المجتمع، فكل القرارات التي يتم اتخاذها، ما يسمح به وما لا يسمح به، يقرره الرجل بوصفه السلطة العليا في مختلف مجالات الحياة.

إن العادات والتقاليد وكذا الدين هو ما جعل هذا الفكر ينغرس ويسلم به في مجتمعاتنا، فجعلوا الرجل هو صاحب السلطة والكلمة العليا، والمرأة مجرد تابع له. فكثيرا ما نردد مقولة "وراء كل رجل عظيم امرأة" على أنها أمر جميل وأن المرأة هي السبب في هذه العظمة، ولم نركز على لفظة (وراء) ومعناها المضمّر الدفين، الذي أكد على تهميش المرأة بجعل الرجل في المقدمة والمرأة في الخلف، فلماذا لم يقولوا (بجانب كل رجل عظيم امرأة عظيمة)؟ فحتى العظمة اقتصروها على الرجل، فاللغة في كثير من الأحيان تعبر عن أفكارنا ومعتقداتنا بصورة واعية أو غير واعية.

تناولت فيروز رشام في روايتها جوانب من مظاهر قمع المرأة في الجزائر، وبالتحديد في مرحلة العشرية السوداء، التي مزقت الوطن، وحطمت المجتمع والمرأة على وجه الخصوص، فغاصت فيروز رشام في أعماق المرأة مظهرة ما عانته من عنف وتهميش وسلطة ذكورية.

- السلطة الأخوية: من خلال مجريات الأحداث نجد أن علاقة فاطمة بأخويها، غاب فيها الحب والأمان

نتيجة تفكيرهم الذكوري؛ فكانوا ينظرون إليها على أنها جسد سيجلب لهم العار، وكانوا ضد حبها لطارق، وضد دراستها، وضد عملها، وضد كل ما رأوه حسب نظرهم سيجلب لهم «العار»<sup>17</sup>،

- السلطة الأبوية: على الرغم من أن والد فاطمة الزهراء ساندتها في أمور كثيرة، وكان لها موطننا للأمان

والحب، إلا أنه مارس سلطته الذكورية عليها، فنجد يقول لها حينما رفضت الزواج بمن اختاروه لها: «لا تخافي يا ابنتي فأنا من يقرر وليس فؤاد أو رشيد»<sup>18</sup>، فحتى هنا نجد أنّ القرار في يد الأب وليس في يد فاطمة، وهذا دليل على السلطة الذكورية التي تعيشها المرأة.

عبّرت الكاتبة عن هذه الثقافة والسلطة الأبوية بعدة أحداث وجمل منها ما قاله أب فاطمة بعد محاولتها رفض العريس: «هذا هونصبيك والعرس في الصيف وانتهى الكلام»<sup>19</sup>، فحتى موعد الزفاف قد قُرّر من طرفه، وهذا ما يسمى بـ: «السلطة الأبوية وهي القوة التي يمارسها الأب على بقية أفراد الأسرة»<sup>20</sup> التي غالباً ما تلقى قبولا فيرضخ لها الجميع لاعتباره سيد الأسرة، وكلمته الأولى ولا تناقش. تقول فاطمة محاولة تغيير رأيه في زواجها: الأم والحماة: إن الثقافة الذكورية لم تستفحل على عقول الرجال فحسب؛ فالعديد من النساء كبرنا وتشبّعن بما فمجدّن الذكر ونظرن إلى أنفسهن كضعيفات وتابعت للسلطة الذكورية، وهذا نتيجة الموروثات الثقافية.

الأم والحماة في رواية تشرفت برحيلك كانتا نموذجا حقيقيا موجودا في ثقافتنا العربية عموما، والجزائر خصوصا لصفة «الأم التابعة، التي تشكل وعيها داخل إطار أجدديات البنية الفكرية الذكورية، لذا فهي تتبنى الخطاب نفسه، الذي تولى قبولته وصياغته الوعي الذكوري»<sup>21</sup>.

نجد أن أم فاطمة الزهراء لم تكن تدافع عن ابنتها مهما حدث، تقول فاطمة: «ما كانت أُمّي لتتخلى عن الدفاع عن أولادها مهما حدث»<sup>22</sup>، فعوض أن تدافع عن المجني عليها، نجدها تدافع عن الجاني لكونه رجلا. إن هذه التربية الذكورية المغلوطة والشائعة في مجتمعنا، ولدت لنا الرجل النرجسي، والأنا المتضخمة، فنجد الأم تغرس في أولادها فكرة أن الأخت تابعة وخادمه تلبي حاجيات أخيها الذكر.

وعندما ضرب فؤاد فاطمة الزهراء وأدخلها المستشفى وبعد أن طلب الطبيب منها أن تقدم شكوى ضد الفاعل، فنجد الأم ترفض وتبرر فعلته بقولها: «طبيب شرعي؟ لا، إنه أخوها»<sup>23</sup>، وكأن التعنيف الأخوي مبرر ومشروع خاصة إن كان المعنف (امرأة).

أما حماة فاطمة فلا تختلف عن أمها في فكرها الذكوري؛ ويتمثل ذلك في رفض عمل فاطمة بحجة أن: «مكان المرأة هو بيتها»<sup>24</sup>، كذلك نجد أن هذه الجدة تميز في حبّها بين الذكر والأنثى تقول فاطمة: «هي تحب ابني محمد فقط، أما آمال ونور الهدى، فليس في قلبها مكان لهما»<sup>25</sup>.

سلطة الزوج: اتضح هذا جلياً في سلطة زوج فاطمة عليها، تبين هذا من خلال إشارات كثيرة ذكرتها الروائية، فزوج فاطمة الزهراء كان يمارس عليها السلطة من خلال أمرها بتقديم مالها الذي عملته كاملاً له، وكذا ضربه لها حتى أسقطت جنينها.

نسق الفقر والبساطة: وقد ظهر هذا من خلال وصف الكاتبة لبيت فاطمة وشوارع القرية أصبح المجتمع العربي من أكثر المجتمعات حاجة إلى النقد الثقافي الحضاري للتخلص من الأنساق الثقافية الخاطئة التي تحكمه وخاصة نسق السلطة الذكورية، التي نجدها السبب الأكبر لهذا التخلف الذي تعرفه مجتمعاتنا

على كافة الأصعدة وفي مختلف المجالات. حيث نشأ على عادات وتقاليد بالية للمرأة والرجل، تتم فيه برمجة المرأة على الخوف والمقارنة والجهل، فالرجل رجل إذا ما تحكّم وكان مراقبا جيدا لنساء عائلته، والمرأة جيدة إذا ما كانت صامته وراضية بكل ما يأتي به الرجل، وكائن خاضع لا حول له ولا قوة، وهكذا يتم توريث هذه السموم عبر الأجيال.

نسق الطبقيّة: ويظهر هذا من خلال المكان وكذا الزمان، فذكر الروائية للقرية وكذا المدينة أكبر دليل على الطبقيّة في المجتمع.

## 2- النسق الانترولوجي:

### 1. نسق الخيانة الزوجية في ظل الموروث الثقافي:

في رواية تشرفت برحيلك نجد أن الخيانة من الأنساق الظاهرة في الرواية، يحمل في طياته نسقا مضمرا وهو مشروعية خيانة الذكر في ظل الموروث الثقافي، الذي بررها للرجل وحرّمها على المرأة.

يتمثل هذا النسق بداية من خلال تزويج فاطمة الزهراء من ناصر بطريقة تقليدية، وفق ما رآه أهلها وأهله مناسبا بعد أن منعت من الزواج من طارق). فتصدم فاطمة منذ اليوم الأول أن لا قيمة لها عنده، فعلاقتيها كانت تعيسة يسودها العنف العاطفي والنفسي والجسدي، وكأن هذا لا يكفي، حتى يقوم ناصر بخيانتها مع عشيقته له، يعاملها عكس ما يعامل به فاطمة الزهراء،

. فخيانة الزوجة لا مبرر لها، سواء دينيا أو اجتماعيا أو ثقافيا، أما الرجل فقد خلق المجتمع لخيانته ألف مبرر، وهذا انعكاس لتقديسهم للذكورة تحت شعار(ليس الرجل كالمراة)، فهو لا يعيبه شئ بينما كل العيب فيها«فهذا النسق السائد الذي يحتل عقول الذكور اتجاه المرأة هو المنتصر في كثير من الأحيان»<sup>26</sup>.

عندما اكتشفت فاطمة خيانة ناصر لم تحاسبه، وكتمت الأمر حتى جاء اليوم الذي طلب هو بنفسه منها أن توقع على وثيقة تسمح له بالزواج من عشيقته، فصورت لنا فيروز رشام من خلال شخصية ناصر، ذلك الزوج الخائن الذي لا يهاب ولا يخجل من علاقته المحرمة وخيانتها، حتى أنه اشترى شقة بمال فاطمة ليسكن بها وعشيقته، وبعد أن رفضت فاطمة التوقيع على هذه الوثيقة طلقها دون خجل أو تردد.

أخذ هذا النسق الثقافي المضمّر قوته وهيمنته من خلال دعم المجتمع الذكوري له بتبريره، وكذلك من خلال الفهم الخاطئ للدين واستخدامه وسيلة لتحقيق رغباتهم الذكورية، تقول فاطمة: «لم أرفض التوقيع انتقاما منه، ولا غيرة عليه، فأنا لم أحبه يوما لأغار عليه، إنما لأنني لا أعرف ماذا سأفعل بأربعة أطفال إن ترك لي مسؤوليتهم

وتخلى عنهم»<sup>27</sup>، هذا القول يعبر عن نسق ثقافي موجود حقيقة في مجتمعاتنا العربية، وهو خوف المرأة من الطلاق، فتقبل بكل شيء مجبرة حتى الخيانة، وهذا دلالة على الضعف والاحتياج الذي تعيشه، مما أفقدها كرامتها وسلب حقوقها.

## 2. نسق الدعوة إلى التمرد على الضوابط الاجتماعية:

عالجت الرواية موضوعا ثقافيا مجتمعيًا جدّ مهم، تمثل لنا في العلاقة بين المرأة والمجتمع في مختلف المجالات، خاصة عاداته وأعرافه التي وضعها بخصوصها، والمستمدة إما من الدين أو من إيديولوجيات هذا المجتمع وفكره، والتي تشكل بعض أنواع هذه الضوابط والقيم قيّدا وقمعا لحرية الفرد وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالمرأة، وما وضعه لها المجتمع من قوانين ليضبط سلوكها وفقا لما رآه مناسباً حسب ثقافته الذكورية التي في الغالب نجدها ذات مبادئ مغلوطة؛ سلبت حرية المرأة المشروعة وفق ما يمليه الدين والإنسانية.

نجد في الرواية أن فاطمة الزهراء عاشت جميع أنواع القمع، فعبرت في هذه الرواية عبر أنساقها المضمرة عن ثقافة المجتمع الجزائري ونظرته للمرأة. كبحت فاطمة الزهراء ووادت كل أمانيتها وما تحب، خضوعا وخوفا، حتى حبها لقراءة الشعر منعت منه بعد أن ضربها أخوها لقراءته، فتقول: «أول ضريبة أدفعها مقابل حبي للشعر»<sup>28</sup>. كما عانت البطلة من الرقابة الدينية المتطرفة، فكان حق المرأة خلال فترة الأزمة مسلوبا، فلم يكن بيد فاطمة حل سوى التخلي عن كل ما تحب والخضوع والاستسلام والعيش وفق ما رآه مجتمعها مناسباً، وهذا هو النسق الظاهر في الرواية والذي حمل نسقا مضمرا، مفاده دعوة المرأة إلى التمرد على القوانين التعسفية، والأعراف الفاسدة، والتحرر من السلطة الذكورية.

ف نجد دليل ذلك من خلال نظرة فاطمة الزهراء لحياتها، فتقول: «لم أكن قبلا حية، إنما كنت على قيد الحياة»<sup>29</sup>؛ فعبرت هنا عن نسق آخر هو نسق الحياة، حيث ترى الكاتبة أن المرأة في وسط هذه القيود، ليست حية وإنما على قيد الحياة.

يظهر هذا النسق من خلال اختيار الكاتبة لنوعين من النساء، هما سعاد وفاطمة الزهراء، سعاد قوية ومتحررة ولا تبالي بما يفرضه عليها المجتمع، أما فاطمة فهي خاضعة وضعيفة، وعانت الويلات بسبب هذا الخضوع، تقول فاطمة عن سعاد: «الحب في ثقافتنا أخطر شيء يمكن الإقدام عليه، وسعاد لا تبالي بهذا الخطر، أحب حديثها رغم أنني أجدها متهورة، أو ربما كنت أنا الخائفة والجبانة، فهي على الأقل تستطيع المواجهة، أما أنا فلن يرحمني

أخواري إذا اكتشفا أنني أواعد رجلا»<sup>30</sup>. تقول كذلك : «سعاد تحولت إلى امرأة جديدة، امرأة امتزجت فيها الأنوثة والرقّة والحنان، بالقوة والشراسة والانتقام»<sup>31</sup>.

من خلال استخدام الكاتبة لسعاد كنموذج للمرأة القوية، فيه دعوة إلى التحرر وكسر عادات وتقاليد المجتمع الذكوري، التي تراها فاسدة من خلال تصويره للمرأة على أنها جسد، ورمز للضعف وتابع دوني مقيد، فسعاد رمز للتمرد والحرية ورمز للمرأة القادرة على حماية نفسها دون الحاجة لسلطة تملي عليها ما يجب وما لا يجب.

### 3. نسق الدعوة إلى الكتابة النسوية:

عانت المرأة من القمع الذكوري الذي جعلها تكبت مشاعرها وآمالها وآلامها، ولا تعبر عن رغباتها وأحلامها نتيجة هذه الثقافة الذكورية، وما حملته من أنساقها المضمرة، التي تحكمت في تفكيرنا وجعلت من المرأة هامشا، ومن الرجل مركزا في مختلف المجالات، حتى الأدبية والنقدية منها، مثال ذلك: مجال الكتابة، فنجد أنه في عالم الكتابة والنشر المرأة متأخرة مقارنة بالرجل، «فقد هيمنت شروط الوعي الذكوري وجمالياته على تاريخ الكتابة العربية، التي جعلت الرجل محور بنيتها، ومن ثم أساس الثقافة فيها، حتى أصبحت كل البنى والأنساق الرمزية الحاكمة لعملية التعبير والتحليل تنهض على رؤية الرجل وحده للعالم، فكانت المرأة وفق هذه الرؤية الذكورية الأحادية خاضعة لحياة الرجل بأحلامه وخبراته»<sup>32</sup>؛ هذه الكتابات الذكورية التي جعلت من المرأة جسدا لاغير ومن الرجل عقلا مفكرا ومركزا مهيمنا فكتب ما يخدم ذكوره، معبرا عن المرأة بصوته ونظرتة؛ «نعم هذا ما تعلن عنه كتابات الفحول مثل سقراط وأفلاطون وداروين وشوبنهاور ونيتشه والمعري والعقاد، واختلافها عن الرجل يجعل منها رجلا ناقصا لأنها لا تملك أداة الذكورة \_ كما يقول فرويد \_ ويجعلها مليكة الخطايا كما يقول بودلير في إحدى قصائده : أيتها المرأة

يا مليكة الخطايا

أيتها العظمة الدنيئة

أيها الخزي الرفيع»<sup>33</sup>.

فنلاحظ تقزيمهم للمرأة وحبسها داخل نمط وفكرة معينة؛ وهي الجسد منقصين من قدراتها الفكرية إن لم نقل رافضين أصلا لامتلاكها عقلا لتفكر وتعبر عن ذاتها .

ونجد أن «الوعي بالإبداع النسوي كان في عقد التسعينيات بسبب تراجع المواقف الشعبوية التي كانت

تقصي المرأة بسبب أزمة المنظومات الكولونيالية، والوجودية والماركسية والحدائية، وشيوع فكر ما بعد الحدائة وما

بعد الكولونيالية»<sup>34</sup>؛ والذي حمل أفكارا تحررية مسّت قضايا المرأة ودعت إلى كسر القيود التي وضعها لها المجتمع، تحت إيديولوجية وخطاب محمّل بروح الفكر الاستعماري وثقافته.

من خلال رواية "تشرفت برحيلك" دعت فيروز رشام المرأة إلى التعبير عن ذاتها، من خلال الكتابة الواعية وذلك يجعلها للبطلة فاطمة الزهراء في مقام المرأة المثقفة المتعلمة، التي اتخذت من الكتابة وسيلة للنهوض من المستنقع الذي عاشت به، بعد مدة طويلة من العناء والتردد والخوف من الكتابة، فأصبحت وسيلتها لتعبر عن ما عاشته من عنف اجتماعي وسياسي وديني، فنجدها تقول في بداية الرواية: «هي لم تكتب من أجل الشهرة بل من أجل قضية»<sup>35</sup>، وأن قصة فاطمة الزهراء هي قصة مجتمع حاولت من خلال كتابتها تعريته وفضحه، فتقول فاطمة الزهراء: «قصة كتابي هي أيضا قصة حياتي، وقصة حياتي هي قصة مجتمع، وقصة مجتمع هي في النهاية جزء من التاريخ، ولا أعرف كيف أفصل بين كل هذا»<sup>36</sup>.

فمن خلال هذه الدعوة ستتم «قراءة الخطاب الثقافي في إبداع النساء، مما يُمكن من كشف تعرية الثقافة من خلال محمولات اللغة التي تتموضع داخل السرد فاللغة هي حاملة الثقافة وإطارها النصي»<sup>37</sup>؛ فنثقافة المجتمع هي ما تطلبت وجود كتابة نسوية واعية، تستطيع طلق العنان لصوت المرأة، فتعبر عن قيم جديدة تصبح فيها المرأة صوتا مهيمنا ينتصر لقضاياها.

#### 4. خاتمة:

وفي ختام بحثنا نخلص إلى نتائج عديدة من أهمها

- ✓ يدرس النقد الثقافي ما هو هامشي وجماهيري؛ فيشمل بذلك مختلف مجالات الحياة، سعيا إلى التجديد وللتخلص من قيود الأنساق الثقافية المهيمنة التي تسوس المجتمع وتسيطر عليه.
- ✓ النسق المضمّر من أهم الأهداف الأساسية للنقد الثقافي.
- ✓ الأنساق الثقافية المضمّرة ليست من تأليف المبدع وإنما هي أفكار واديولوجيات منغرسه لديه.
- ✓ تماشى الرواية الجزائرية من مختلف التحولات والتطورات التي عرفها المجتمع الجزائري؛ فأصبحت مرآة عاكسة له سواء بطريقة مباشرة (ظاهرة) أو بطريقة غير مباشرة (مضمرة).
- ✓ رصدت رواية "تشرفت برحيلك" مختلف الظروف: السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية التي شهدتها الجزائر خلال مرحلة العشرية السوداء.
- ✓ تندرج الرواية ضمن الأدب النسوي.

- ✓ تضمنت رواية "تشرفت برحيلك" لفيروز رشام مجموعة من الأنساق المضمرة المتخفية تحت غطاء الجماليات، والتي وجب الكشف عنها بواسطة النقد الثقافي
- ✓ في رواية "تشرفت برحيلك"، مجتمع يعيش في صراع بين القيم الثقافية المسيطرة، والتي تبرز في عدة أنساق مضمرة: السلطة الذكورية، الخيانة في ظل الموروث الثقافي، الدعوة إلى التمرد على الضوابط الاجتماعية، وغيرها من الأنساق التي لم يتسع البحث لها جميعا.
- ✓ عبّرت الروائية عن الظلم والاستبداد المسلط على المرأة من قبل الرجل والثقافة الذكورية؛ حيث تعرضت بطلنة الرواية (فاطمة الزهراء) إلى أشد أنواع القمع والاضطهاد من طرف: الأب والأخ والزوج وحتى الأم والحماة؛ كنموذج للمرأة التابعة لهذه الثقافة الذكورية.
- ✓ الكتابة النسوية أحد الطرائق التي لجأت إليها المرأة من أجل التعريف بذاتها وإيصال صوتها، حيث ظهر هذا النسق كرد فعل على التهميش الذي عانته المرأة بسبب الهمينة الذكورية حتى في مجال الكتابة؛ فنجد أن فاطمة الزهراء سردت قصة حياتها وحولتها إلى كتاب لتخرج به عن صمتها، وتصبح بذلك صوتا مهيمنا يعبر عن قضاياها.

## 4- الهوامش:

- 1- جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، د.ط، د.ت، ص: 22.
- 2- المرجع نفسه، ص 74.
- 3- المرجع نفسه، ص 74.
- 4- عبدالله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط3، 2005، ص: 83-84.
- 5- المرجع السابق، ص: 71.
- 6- صلاح قنصوة، تمارين في النقد الثقافي، دار ميريت، القاهرة، ط1، 2008، ص: 05.
- 7- عبدالله الغدامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، مرجع سابق ص: 31-32.
- 8- سمير خليل، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب، ط3، د.ت، ص: 05.
- 9- ينظر: عبدالله الغدامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، مرجع سابق، ص: 30.
- 10- عبدالله الغدامي، النقد الثقافي، ص: 78.
- 11- المرجع نفسه، ص: 79.
- 12- كلثوم أقبلي، تأثير الواقع على الرواية الجزائرية في العشرية السوداء: رواية (الورم) لمحمد ساري، -أمودجا-، ص: 21.

- <sup>13</sup> لطيفة قرور، هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار (الشمعة والدهاليز، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء)، مذكرة مجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010، ص: أ.
- <sup>14</sup> - خطيب محمود، الرواية والواقعية، دار الحداثة والنشر، بيروت، 1981، ص: 17.
- <sup>15</sup> - فيروز رشام، تشرفت برحيلك، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2017.
- <sup>16</sup> - ينظر: حسين السماهيجي وآخرون، عبدالله الغدامي والممارسات النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2003، ص: 93.
- <sup>17</sup> - المصدر نفسه، ص: 33.
- <sup>18</sup> - فيروز رشام، تشرفت برحيلك، مصدر سابق، ص: 39.
- <sup>19</sup> - المصدر نفسه، ص: 104.
- <sup>20</sup> - ينظر: الشيخ جقاوة، السلطة الأبوية داخل العائلة الجزائرية، مجلة الحقيقة، العدد: 43، 2018، ص: 735.
- <sup>21</sup> - الشيخ لعيرج، المحذور الديني في رواية تشرفت برحيلك فيروز رشام، مجلة الباحث، المجلد: 11، العدد: 01، 2019، ص: 74.
- <sup>22</sup> - فيروز رشام، تشرفت برحيلك، مصدر سابق، ص: 45.
- <sup>23</sup> - المصدر نفسه، ص: 79.
- <sup>24</sup> - المصدر نفسه، ص: 133.
- <sup>25</sup> - المصدر نفسه، ص: 154.
- <sup>26</sup> - ينظر: ادريس إبراهيم البريدي، في أنساق الحكاية الشعبية "كتاب لعلي مغاوي نموذجاً"، الثقافة الشعبية للدراسات والنشر، العدد: 34، 2016، ص: 38.
- <sup>27</sup> - فيروز رشام، تشرفت برحيلك، مصدر سابق، ص: 221.
- <sup>28</sup> - فيروز رشام، تشرفت برحيلك، مصدر سابق، ص: 100.
- <sup>29</sup> - المصدر نفسه، ص: 06.
- <sup>30</sup> - المصدر السابق، ص: 42.
- <sup>31</sup> - المصدر نفسه، ص: 212.
- <sup>32</sup> - ينظر: حسين مناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص: 65.
- <sup>33</sup> - عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء، 1996، ص: 64.
- <sup>34</sup> - ينظر: هويدا صالح، نقد الخطاب المفارق، مرجع سابق، ص: 19-20.
- <sup>35</sup> - فيروز رشام، تشرفت برحيلك، مصدر سابق، ص: 05.
- <sup>36</sup> - المرجع نفسه، ص: 05.
- <sup>37</sup> - المرجع نفسه، ص: 11.